دراسة تربوية حديثية لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (مروا أبنائكم بالصلاة لسبع سنين) في إطار علم أبحاث الدماغ.

حذيفة شريف الخطيب*/ عماد الدين عبد الرؤوف خضر**

Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi | Cilt: IV | Sayı: 8 | Yıl: 2016/2

الملخص

إن الاهتداء بهدي الرسول – صلى الله عليه وسلم– في التربية وصناعة التميز وتنمية المهارات، هو المنهج الأقوم في التربية والتنمية وصناعة التقدم، وهذا ملاحظ – وبوضوح– عند تتبع الأحاديث النبوية، سواء القولي منها أو الفعلي أو التقريري، وعند التوسع في دراستها والتدقيق في مفاهيمها نجد أنها قد عالجت – في كثير من الأحيان– أدق التفاصيل التربوية والمهارية التي يحتاجها المسلم والإنسان في حياته، كما أن من أهم ملامح هذا المنهج التربوي هو التكامل الواضح بين المعرفة والأداء، وبين النظرية والتطبيق، فسنته – صلى الله عليه وسلم– بالإضافة إلى كونها توجيهات نبوية مباشرة، تجدها تربية عملية، وتنمية فعالة، وصناعة حقيقية للمهارات، وهي بهذا تمثل منهجاً متكاملاً للمسلم يهتدي به في كل شؤونه، وينعم بالحياة الطيبة إن سار على هذا الهدي.

الكلمات المفتاحية:مروا أولادكم، تربية الأولاد، أمر الأطفال بالصلاة، ضرب الأولاد، التفريق بين الأولاد في المضاجع.

* Yrd. Doç. Dr., Huzeyfe Şerif El-Hatib, Harran Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Hadis Anabilim Dalı, (dr-hothifa@hotmail.com)

** Dr., İmaduddin Abdurrauf Hıdır, Ürdün Rıdvan Okulu Rehber Hocası

Hazreti Peygamber Sallallahu Aleyhi Ve Sellem'in "Çocuklarınıza Yedi Yaşına Geldiklerinde Namaz Kılmayı Emredin" Hadisi Şerifi Üzerine Beyin Araştırmaları Bilimi Çerçevesinde Yeni Bir İnceleme

Özet

Resulullah sallallahu aleyhi ve sellem'in eğitim, ayırt etme yeteneği kazanma ve beceri geliştirme konusundaki yönlendirmeleri eğitimde, gelişimde ve ilerleme en doğru metottur. Hadisi şerifler –ister sözlü hadisler, ister fiili hadisler, isterse takriri (onaylama) hadisler- incelendiğinde bu durum açıkça ortaya çıkacaktır. Hadisi şerifler dikkatlice ve etraflıca incelendiğimizde bu hadislerin bir müslümanın ya da herhangi bir kişinin hayatında karşılaştığı ve çözümü için ihtiyaç duyduğu problemlerin üstesinden çoğu zaman geldiğini görebiliriz.

Bu terbiye metodunun en önemli işareti ise peygamber sözlerinin hem teoride hem de pratikte tam bir uyum içinde olduğunu görmemizdir. Hazreti peygamberin sünnetinin nebevi yönlendirmeler olduğu ve uygulamalı eğitim, aktif gelişim ve gerçek yetenekleri ortaya çıkarma olmakla birlikte diğer yandan bir müslümanın bütün işlerinde kendisine kılavuz edineceği mütekâmil bir metottur. Eğer bu metoda göre yaşarsa çok güzel bir hayat sürecektir.

Anahtar kelimeler: Çocuklarınıza ermedin, çocuk terbiyesi, çocuklara namazı emretme, çocukları dövme, çocukların yataklarını ayırma.

A Modern Educational Study Of Prophet Muhammad's (Peace And Blessings Be Upon Him) Hadith, "Order Your Children To Pray At Seven, Gently Beat Them At Ten, And Assign Separate Rooms For Boys And Girls Alike, "Under The Framework Of Neuroscience

Abstract

This study argues that the prophet's hadith about the education of children between seven and ten years of age corresponds with the results of recent neurological research. The study concludes that the human brain is equipped since birth with more than a trillion neurons, and many of those neurons come into existence as the early emotional consciousness develops, especially because they grow faster between 4 and 7. It also concludes that the best ways of learning for children have to do with exploration, trial and error, and close observation, as the child at this age is an observant, imitative, and quick to learn. We have thus proved in this study that there is

a huge gap between the education and upbringing directives of the Prophet (which are proven by recent neurological research) and Western education experts.

Keywords: Order your children, children education, ordering children prayer, beating children, separation of children's beds.

المقدمة

قال الله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)[1]، انطلاقا من هذه الوصية الكريمة من رب العزة يسعى كل فرد في هذا الكون لرعاية أبنائه بكل قوته؛ لأنه يعلم أنه كلما كانت رعايته صادقة وإيجابية فإن أبناءه في المقابل سيراعون عواطفه الأبوية بكل ما يملكون، وسعادة أي فرد عندما يعطي أبناءه الحب والعطف الذي يحتاجون ليست بأقل من سعادتهم عندما يأخذون.

ولا شك أنهم سندنا إذا كبرنا، ورصيدنا إذا متنا وكنا قد أحسَنا تربيتهم في صغرهم وتتبعنا خطاهم حتى سلكوا بر الأمان، وهذا ما أكده رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال: (إن أولادكم من أطيب كسبكم)[2].

وقد أكد العلم ذلك فقد أشارت العديد من الدراسات والأبحاث إلى أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل، واعتبرتها السنوات التكوينية[3] حيث تتشكل في هذه السنوات البنية الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية للطفل.

وقد خاض العلماء في بحار هذا الموضوع ونبعت النظريات وتوالت الدراسات ومنها ما أُثبتت صحته وأخرى لم تر الواقع الذي كان يتمناه أصحاب هذه النظريات، وغاب عن ذهن هؤلاء والكثير من أمثالهم من المسلمين أيضاً أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يتركا علماً إلاّ وتطرقا له من قريب أو بعيد، وقد ثبت خلال أربعة عشر قرناً دقة هذا الدين وتتبعه للطفل من بداياته وحتى وفاته في بناء قيمي شامل لحياة الإنسان، حيث إن القرآن الكريم والسنة النبوية تطرقا في هذا الموضوع إلى تفاصيل لم يعلمها علماء الغرب إلى هذه اللحظة.

إن الاهتداء بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية وصناعة التميز وتنمية المهارات، هو المنهج الأقوم في التربية والتنمية وصناعة التميز، وهذا ملاحظ – وبوضوح– عند تتبع الأحاديث النبوية، سواء القولي منها أو الفعلي أو التقريري، وعند التوسع في دراستها والتدقيق في مفاهيمها

١ سورة النساء: (١١).

٢ أخرجه أبو داود (٣٠٦٦) قال الألباني: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٢٨٥) قال الألباني: صحيح، وأحمد (٦٨٢٥) وغيرهم.

3 Abravanel, E. and Gingold, H: Learning via observation during the second year of life (Developmental Psychology, 21, 614-623(chap 6.

نجد أنها قد عالجت – في كثير من الأحيان– أدق تفاصيل القيم المهارية التي يحتاجها المسلم والإنسان في حياته.

كما أن من أهم ملامح هذا المنهج التربوي – الذي سوف نحاول إثباته في هذا البحث– هو التكامل الواضح بين المعرفة والأداء، وبين النظرية والتطبيق، فسنته صلى الله عليه وسلم هي – علاوة على كونها توجيهات نبوية مباشرة– تجدها تربية عملية، وتنمية فعالة، ثبّت مبادئها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً وأُثبت توافقها مع أبحاث ودراسات علم الدماغ في العصر الحديث، حيث لوحظ أنها صناعة حقيقية لقيم مهارية كثيرة جداً ومنها قيمتا (التعلم والانضباط) – وهو ما سيتم التركيز عليه كهدف رئيس في هذا البحث– وهي بهذا تمثل منهجاً متكاملاً للمسلم يهتدي به في كل شؤونه، وينعم بالحياة الطيبة إن سار على هذا الهدي.

ومن أمثلة هذا المنهج النبوي المتكامل، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)(٤).

حيث سنعمد في بحثنا لإثبات شمولية حديث الرسول الكريم لإثباتات العلماء حديثاً ومحاولاتهم لدراسة العمليات الدماغية في محاولة منهم للاستدلال بها في تربية أبنائهم وكيفية التعامل معهم.

منهج الدراسة:

اختار الباحثان المنهج الوصفي بنوعيه الوثائقي والتحليلي وكلا المنهجين يرفدان بعضهما، فالمنهج الوثائقي ذو لزومية عالية حيث إن البحث المستهدف يميل إلى الجانب الاجتماعي العقلي ولذا سيعتمد على ما يتوفر للباحثين من مصادر مختلفة (كتب – دورات – بحوث – دراسات) في مجال أبحاث الدماغ وربط ذلك بالجانب الحديثي لما ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام من خلال ربط تحليلي علمي مبني على روابط عقلية عليا.

أهمية الدراسة:–

تتحدد أهمية الدراسة من خلال بناء قناعة عميقة وراسخة ومبنية على دلائل علمية ثابتة وواضحة لأهمية الاستفادة من حديث الرسول صل الله علية وسلم في بناء جيل المستقبل، وتأكيد ثقة راسخة بتوافق ذلك مع الأبحاث الحديثة لعلماء الدماغ والأعصاب في عالم اتصف بصفات منها(٥):–

٤ رواه أبو داود وغيره، يأتي تخريجه مفصلاً لاحقاً.

٥ السلطي، نادية سميح، التعلم المستند إلى الدماغ، ص٢٧

- التغير السريع غير المسبوق.
- تراجع الماضي أكثر فأكثر عن قيادة المستقبل.
- بروز العولمة واقعاً ملموساً.
- انكماش العالم بتقلص المسافات وسلاسة الاتصالات.

فكان لذلك تأثيره السلبي على تربية النشء، حتى باتت كل المدخلات الثقافية السلبية تتدخل بشكل مباشر وغير مباشر في تربية الأبناء، فباتت أسر مفككة، وأصبحت المجتمعات متخلخلة وغير متوازنة.

وقد أثّر ذلك على المجتمعات الإسلامية التي لم تكن في منأى عن هذه الفوضى العالمية، وفقد –للأسف – المجتمع الإسلامي بعض خصائصه المميزة، فضلاً عن ضعف دوره الإصلاحي في المجتمع الإنساني عامة، فأصبح حاله كغيره من المجتمعات الغربية، حيث شذت وتجردت من الفطرة البشرية السوية، فانتهكت حرمات وسفكت دماء[٦].

من هنا تنبع أهمية الدراسة، بإيجاد منظومة متوازنة لتربية الطفل من منطلق فطرته التي ولد عليها بعيداً عن تعقيدات الحياة. بصفات أساسية يكتسبها من هذه التربية، منها[٧]:-

- المقدرة على بناء العلاقات الاجتماعية الايجابية مع الآخرين.
- المقدرة على حل المشكلات اليومية.
- التكيف السلس مع المتطلبات المعقدة في حياتنا.
- بناء الأسرة المستقرة المتوازنة.
- العمق الديني المبني على التفكر والعقل.
- الوعي الشخصي.
- ضبط النفس.
- العمل التعاوني.
- الاهتمام بالأمور الشخصية.
- الاهتمام بأمور المجتمع والأمة.

والتأكيد على وجود منظومة تربوية هامة، تعد الإناء الأوسع الذي استوعب كافة النظم التربوية التي نبعت من إثباتات علمية محكمة فكانت هي الأسبق والأشمل بدقتها وتوافقها مع جميع الأبحاث العلمية الحديثة، ألا وهي المنظومة التربوية النبوية للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٦ عبد الكريم، كامل حمدي (البناء الاسري في الاسلام ودوره في الاصلاح المجتمعي) ص٩

٧ الحارثي (أ)، ابراهيم، تعليم التفكير، ص٢٧.

هدف الدراسة وأسئلتها:-

هدفت هذه الدراسة إلى بناء عمق شمولي واسع لحديث الرسول صلى الله علية وسلم، والاستغناء من خلاله عن أبحاث علم الدماغ والأعصاب الحديثة بسبب سبقها كل البحوث والدراسات، فيما يخص تربية الأبناء في قيم مهارية عدة أهمها قيمتا التعلم والانضباط، لذا فإن هذه الدراسة تسعى للإجابة عن الأسئلة الآتية:-

- ما الخصائص النمائية لأطفال ما دون السابعة والفئة العمرية ما بين السابعة والعاشرة من العمر؟
- ما هي معالم التكامل بين المعرفة العلمية لأبحاث الدماغ والأداء في الحديث النبوي ؟
- ما الإطار التربوي القيمي الصحيح للتعامل مع هذه الفئة العمرية كما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بمرجعية ما تم التوصل له في السؤالين السابقين لتحقيق قيمتي التعلم والانضباط في سلوك الأبناء؟

وقد قسم الباحثان هذا البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: دراسة حديثية فقهية للحديث:

المطلب الأول: تخريج الحديث ورتبته.

المطلب الثاني: فهم شراح الحديث والفقهاء له.

المبحث الثاني: دراسة تربوية للحديث:

المطلب الأول: ما الخصائص النمائية لأطفال ما دون السابعة والفئة العمرية ما بين السابعة والعاشرة من العمر؟

المطلب الثاني: : ما هي معالم التكامل بين المعرفة العلمية لأبحاث الدماغ والأداء في الحديث النبوي؟

المطلب الثالث: ما الإطار التربوي القيمي الصحيح للتعامل مع هذه الفئة العمرية كما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بمرجعية ما تم التوصل له في السؤالين السابقين لتحقيق قيمتي التعلم والانضباط في سلوك الأبناء؟

والله الموفق وهو المستعان وعليه التكلان..

المبحث الأول: دراسة حديثية فقهية للحديث:

المطلب الأول: نص الحديث ودراسة إسناده وشواهده.

المطلب الثاني: فقه الحديث وشرح المحدثين والفقهاء له.

Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi | Cilt: IV | Sayı: 8 | Yıl: 2016/2

المطلب الأول: نص الحديث ودراسة إسناده وشواهده

أولاً: نص الحديث:

قال أبو داود السجستاني: حَدَّثنا مُؤَمَّلُ بْنُ هشَام يَعْنِي الْيَشْكُرِيَّ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، عَنْ سَوَّارٍ أَبِي حَمْزَةَ ، قَالَ أَبُو دَاوُد: وَهُوَ سَوَّارُ بْنُ دَاوُدَ أَبُو حَمْزَةَ الْمُزَنِيُّ الصَّيْرَفِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ).

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ سَوَّارٍ الْمُزَنِيُّ ، بِإِسْنَاده وَمَعْنَاهُ، وَزَادَ: وَإِذَا زَوَّجَ أَحَدُكُمْ خَادِمَهُ عَبْدَهُ أَوْ أَجِيرَهُ، فَلَا يَنْظُرْ إِلَى مَا دُونَ السُّرَّةِ وَفَوْقَ الرُّكْبَةِ، قَالَ أَبُو دَاوُد: وَهِمَ وَكِيعٌ فِي اسْمِه، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ سَوَّارٌ الصَّيْرَفِيُّ[٨].

ثانياً: دراسة الإسناد:

مدار الحديث على عمرو بن شعيب (صدوق[٩])، رواه عنه راويان:

١. سَوَّارُ بْنُ دَاوُدَ أَبُو حَمْزَةَ الْمُزَنِيُّ الصَّيْرَفِيُّ (صدوق له أوهام[١٠])، عند أبي داود (٤٩٥) وأحمد (٦٦٥٠، ٦٧١٧) والحاكم في المستدرك[١١] (١/ ١٩٧) والدارقطني (٨٧٦، ٨٧٧) والبخاري في التاريخ الكبير.

٢. واللَّيْث بْن أَبِي سُلَيْمٍ (صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك[١٢])، عند البيهقي في الكبرى (٢: ٢٢٩).

٣. ومُحَمَّد بْن جُحَادَة) ثقة[١٣]) عند البيهقي في الكبرى: (٢: ٢٢٩).

٨ أبو داود (كتَاب الصَّلَاة: بَاب مَتَى يُؤْمَرُ الْغُلَامُ بالصَّلَاة): رقم الحديث: ٤٩٥، قال النووي في المجموع: ٣/ ١٠، وفي رياض الصالحين ١٤٨: (رواه أبوداود بإسناد حسن) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود [٢/ ٤٠١]: وهذا إسناد حسن، ثم ذكر سوار بن داود وقال: هو حسن الحديث. وذكر أيضا ترجمته من التهذيب ثم قال في نهايتها – أي الشيخ– ولخص ذلك الحافظ في التقريب فقال: ''صدوق له أوهام'' وهذا معناه أنه حسن الحديث على أقل تقدير؛ إذا لم يظهر وهمه فيه.

٩ التقريب: ٥٠٥٠.

١٠ التقريب: ٢٦٨٢.

١١ قال الحاكم ١/١٩٧: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّد الدُّورِيُّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ / / مَعِين، يَقُولُ: عَمْرُو بْنُ شُعَيْب ثِقَةٌ، قَالَ الْحَاكِمُ: وَإِنَّمَا قَالُوا فِي هَذِه للإِرْسَال، فَإِنَّهُ عَمْرُو بْنُ شُعَيْب بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن عَمْرٍو، وَشُعَيْبٌ لَمْ يَسْمَعْ منْ جَدِّه عَبْد اللَّه بْن عَمْرو . سَمِعْتُ الأُسْتَاذَ أَبَا الْوَلِيدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ سُفْيَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ، يَقُولُ: إِذَا كَانَ الرَّاوِي، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ثِقَةً فَهُوَ كَأَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٢ التقريب: ٥٦٨٥.

١٣ التقريب: ٥٧٨١.

ثالثاً: الشواهد[١٤]:

الشاهد الأول: سَبْرَة بْنُ مَعْبَد الْجُهَنِيُّ، قال الترمذي في الجامع (٣٧٢): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْر ، أَخْبَرَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ عَبْد الْعَزِيز بْن الرَّبِيع بْن سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ ، عَنْ عَمِّه عَبْد الْمَلك بْن الرَّبِيع بْن سَبْرَةَ ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ جَدِّه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: ''عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْع سنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْر'' قَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو، قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ سَبْرَةَ بْن مَعْبَد الْجُهَنِيِّ حَدِيثٌ **حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَعَلَيْه الْعَمَلُ عِنْدَ بَعْض أَهْل الْعِلْم**، وَبِه يَقُولُ أَحْمَدُ, وَإِسْحَاق, وَقَالَا: مَا تَرَكَ الْغُلَامُ بَعْدَ الْعَشْر مِنَ الصَّلَاة فَإِنَّهُ يُعِيدُ، قَالَ أَبُو عِيسَى: وَسَبْرَةُ هُوَ ابْنُ مَعْبَد الْجُهَنِيُّ، وَيُقَالُ هُوَ: ابْنُ عَوْسَجَةَ[١٥].

الشاهد الثاني: أسلم أبو رافع القبطي، قال في كشف الأستار[١٦]: حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ عُبَيْد اللَّه، ثنا يُوسُفُ بْنُ نَافِع ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ أَبِي الْمَوَالِ ، عَنْ عُبَيْد اللَّه بْن أَبِي رَافِع ، عَنْ أَبِيه (أسلم أبو رافع القبطيِّ)، قَالَ: وَجَدْنَا صَحِيفَةً فِي قِرَابِ سَيْف رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاته، فِيهَا مَكْتُوبٌ: ''بِسْم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم فَرِّقُوا بَيْنَ مَضَاجِع الْغِلْمَان وَالْجَوَارِي، وَالإِخْوَة وَالأَخَوَات لِسَبْع سنِينَ، وَاضْرِبُوا أَبْنَاءَكُمْ عَلَى الصَّلاة إِذَا بَلَغُوا أَظُنُّهُ تِسْعًا، مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ قَوْمه، أَوْ إِلَى غَيْرِ مَوَالِيه، مَلْعُونٌ مَنِ اقْتَطَعَ شَيْئًا مِنْ تُخُومِ الأَرْضِ''، يَعْنِي بِذَلِكَ: طُرُقَ الْمُسْلِمِينَ.

الشاهد الثالث: أنس بن مالك، في سبعة مجالس أملاها أبو طاهر المخلص (٥٥) قال: حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ إِمْلاءً سَنَةَ ستَّ عَشْرَةَ وَثَلاثمائَة، ثنا عَبْدُ اللَّه بْنُ أَيُّوبَ ، ثنا دَاوُدُ بْنُ الْمُحَبَّرِ، ثنا عَبْدُ اللَّه بْنُ الْمُثَنَّى، عَنْ ثُمَامَةَ بْن عَبْد اللَّهَ بْنِ أَنَس، عَنْ أَنَس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مُرُوهُمْ بِالصَّلاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا

١٤ قال العجلوني في المقاصد الحسنة: ص ٦٠٠: وفي الباب عن أبي رافع قال: وجدنا في صحيفة في قراب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بعد وفاته فيها مكتوب بسم اللَّه الرحمن الرحيم وفرقوا بين مضاجع الغلمان والجواري والأخوة والأخوات لسبع سنين، واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا أظنه تسع سنين، أخرجه البزار. وروى أبو داود من طريق هشام بن سعد حدثني معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب الجهني قال: دخلنا عليه فقال لامرأة وفي رواية لامرأته: متى يصلي الصبي؟ فقالت: كان رجل منا يذكر عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة، وقال ابن القطان: لا نعرف هذه المرأة ولا الرجل الذي روت عنه، انتهى. وقد رواه الطبراني من هذا الوجه فقال: عن معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب عن أبيه أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم به، قال: ولا يروى عن عبد اللَّه بن خبيب وله صحبة إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبد اللَّه بن نافع عن هشام، وقال ابن صاعد: إسناد حسن غريب، وعن أبي هريرة نحو الأول رواه العقيلي في ترجمة محمد بن الحسن بن عطية العوفي عن محمد بن عبد الرحمن عنه، قال: وروي عن محمد بن عبد الرحمن مرسلا، وهو أولى، والرواية في هذا الباب فيها لين، ورواه أبو نُعيم في المعرفة من حديث عبد اللَّه بن مالك الخثعمي وإسناده ضعيف وعن أنس بلفظ: ومروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لثلاث عشرة، رواه الطبراني وفي إسناده داود بن المحبر وهو متروك، وقد تفرد به فيما قاله الطبراني، وهو في نسخة سمعان ابن المهدي عن أنس بلفظ: مروا الصبيان بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين..

١٥ وأخرجه أبو داود (٤١٦) والدارمي: (١٤٠١) وأحمد (١٥٠٣٩) وابن خزيمة في صحيحه (٩٥٣) والحاكم في المستدرك (٦٧٥، ٨٩٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، فَقَدِ احْتَجَّ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ آبَائِهِ، ثُمَّ لَمْ يُخَرِّجْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا هَذَا الْحَدِيثَ.

١٦ الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: (٣٢١).

لِعَشْرِ سِنِينَ»[١٧].

الشاهد الرابع: أبو هريرة رضي الله عنه، في أحكام القرآن للجصاص (٦٨٨) قال: وحدثنا عبد الباقي ، قال: حدثنا عبد الله بن موسى بن أبي عثمان ، قال: حدثنا يحيى بن معين ، قال: حدثنا محمد بن ربيعة ، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عطية ، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: » إذا بلغ أولادكم سبع سنين فعلموهم الصلاة , وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم عليها، وفرقوا بينهم في المضاجع »[١٨].

الشاهد الخامس: مُعَاذُ بْنُ عَبْد اللَّه بْن خُبَيْب الْجُهَنِيُّ، عند أبي داود في سننه (٤١٨) قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْب ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْد ، حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ عَبْد اللَّه بْن خُبَيْب الْجُهَنِيُّ ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْه، فَقَالَ لامْرَأَته : مَتَى يُصَلِّي الصَّبِيُّ ؟ فَقَالَتْ: كَانَ رَجُلٌ مِنَّا يَذْكُرُ عَنْ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ''إِذَا عَرَفَ يَمِينَهُ مِنْ شِمَالِهِ[١٩]، فَمُرُوهُ بِالصَّلَاةِ»[١٩].

خلاصة دراسة الإسناد: أن هذا الحديث مقبول بمجموع طرقه، حيث إنه ورد من عدة طرق عن عمرو بن شعيب، كما ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم بألفاظ مختلفة، كما أن عليه العمل عند أهل العلم كما ورد سابقاً... والله أعلم.

المطلب الثاني: فقه الحديث وشرح المحدثين والفقهاء له.

تناول علماء الحديث والفقه هذا الحديث بالشرح والتعليق، واستفادوا منه بعض الأحكام الفقهية، وقد رأينا أن ما يعنينا في هذا البحث هو التركيز على الجوانب التربوية المستفادة من هذا الحديث، حيث إن الغاية من هذا البحث هو الجمع بين جهود علماء الشريعة وعلماء التربية، وبين علم المتقدمين والمتأخرين، وفي هذا المطلب نحاول أن نجيب عن ثلاثة أسئلة هي:

١٧ وأخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط (٤٢٦١) بنفس اللفظ وخالف في قوله: (وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِثَلاثَ عَشْرَةَ) ثم قال: (لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ثُمَامَةَ إِلا الْمُحَبَّرُ بْنُ فَحْذَم، تَفَرَّدَ به: ابْنُهُ)، والدارقطني في سننه (٧٧٢)، وابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية وقال: (٣٦٥) ثم قال: دَاوُدُ مَتْرُوكٌ، وَقَدْ خَالَفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ سَنَدًا، وَمَتْنًا. وفي إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨٨٦) ثم قال: دَاوُدُ بْنُ الْمُحَبَّرِ ضَعِيفٌ، لَكِنَّ الْمَتْنَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ سَبْرَةَ وَلَفْظُهُ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ»، رَوَاهُ وَصَحَّحَهُ أَبُو دَاوُد فِي الْجَامِعِ قَالَ: وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ، وَقَالا: مَا تَرَكَ الْغُلامُ بَعْدَ الْعَشْرِ فَإِنَّهُ يُعِيدُ قَالَ: التِّرْمِذِيُّ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

١٨ وأخرجه في كشف الأستار: (٣٢٠) وقَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إلا بِهَذَا الإِسْنَادِ، وفي العيال: (٢٩٨).

١٩ وأخرجه في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨٨٥) عَنْ مُعَاذ بْن عَبْد اللَّه بْن خُبَيْب الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبيه ، أَنّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ... ثم قال: هَكَذَا رُوِيَ مُرْسَلًا، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي سُنَنه مَرْفُوعًا، والمَعجم الصغير للطبراني (٢٧٥) ثم قال: لا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْد اللَّه بْن خُبَيْب، وَلَهُ صُحْبَةٌ، إلا بِهَذَا الإِسْنَاد، تَفَرَّدَ به عَبْدُ اللَّه بْنُ نَافع.والمعجم الأوسط للطبراني: (٣١١٣)، وقَالَ في تعليقات الدَارقُطني عَلى المجروحين لابن حبان (٢٨٩) قَالَ أَبُو الْحَسَن: تَفَرَّدَ بِهَذَا الْحَدِيث بِهَذَا الإِسْنَاد عَبْدُ اللَّه بْنُ نَافع الصَّائغُ، عَنْ هِشَام بْن سَعْد، وَعَبْدُ اللَّه ضَعِيفُ الْحَدِيث، وَخَالَفَهُ غَيْرُهُ فَرَوَاهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ مُرْسَلاً، وَلَمْ يُسْنِدْهُ وَهُوَ الْمَحْفُوظُ عَنْ هِشَامٍ.ولهَ شاهدٌ من حديثَ أبي هريرة في معجم ابن الأعرابي (٣٢٨).

أولاً: لماذا يبدأ الأمر بالصلاة في السابعة؟

وقد لفت نظرنا أن التعبير النبوي جاء في صدر هذا الحديث تعبيراً تربوياً، فقد حذفت همزة: (مروا) للتخفيف ثم حرّكت الميم لتعذر النطق بالساكن، وكأنه صلى الله عليه وسلم يرشدنا إلى أن يكون الأمر لطيفاً خفيفاً فيه شيء من العطف والحب لهذا الطفل الذي هو وديعة ربانية عند والديه، وفي سن السابعة يحصل التمييز غالباً، ولهذا جاء الأمر لأولي الأمر بأمرهم ليعتادوا الصلاة ويستأنسوا بها[٢٠]، وهذا الحديث يُذكّر بقول الله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) فالأمر يحتاج إلى أمر وصبر وحكمة وحسن أسلوب، فما أجمل الجمع بين الآية والحديث في فهم تعاليم ديننا العظيم.

ويشير الدكتور محمد راتب النابلسي إلى أن هذا الأمر في هذا الحديث يسمى التكليف التأديبي لا التكليف الشرعي، فالطفل يُعوّد على الصلاة كما يلقنها، فالتلقين جانب نظري، بينما يمثل التعويد الجانب العمليّ[٢١].

وهذا الأمر النبوي للوجوب، ويستوي فيه الذكر والأنثى، كما أن الأمر بالصلاة يتضمن ما لا تتم بدونه كالوضوء مثلاً، ففي سن التمييز يستطيع الصبي أن يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجي وحده[٢٢].

وكما أن الأمر بالصلاة واجب على ولي الأمر[٢٣] فإنه أيضاً من حقوق الأولاد على آبائهم، ولكن بشرط أن يكونوا ذوي عقل فإن بلغوا سبع سنين أو عشر سنين وهم لا يعقلون؛ يعني فيهم جنون فإنهم لا يؤمرون بشيء ولا يضربون على شيء، لكن يمنعون من الإفساد سواء في البيت أو خارج البيت[٢٤].

ثانياً: ولماذا يبدأ الضرب في العاشرة؟ وكيف يكون؟

في هذا الحديث أمر بالضرب للأولاد عند سن العاشرة وذلك لأنهم بلغوا أو اربوا البلوغ، ولأن هذا العمر حدٌّ يتحمل فيه الضرب غالباً، والمراد بالضرب الضرب غير المبرح، وأن يتقي الوجه في الضرب، والمقصود إغلاظ العقوبة له ومشروعية التعزير إذا تركها مدركاً[٢٥].

قال ابن عثيمين: المراد بالضرب الذي يحصل به التأديب بلا ضرر فلا يجوز للأب أن يضرب

٢٠ انظر: عون المعبود: ٢/ ١١٤ (٤٩٧) ومصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ١٢١) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٢٢).

٢١ انظر: النابلسي، تربية الأولاد في الإسلام: ٣٢٥.

٢٢ انظر: محمد الصديقي الشافعي في دليل الفالحين (٢/ ٤٣٤).

٢٣ انظر: مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح (٢/ ٥٥٩).

٢٤ انظر: ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين (١/ ٣٥٧).

٢٥ انظر: عون المعبود: ٢/ ١١٤ (٤٩٧) وتحفة الأحوذي (٢/ ٣٧٠) والضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع (١٥٢/١).

أولاده ضربا مبرحا ولا يجوز أن يضربهم ضربا مكررا لا حاجة إليه بل إذا احتاج إليه مثل ألا يقوم الولد للصلاة إلا بالضرب فإنه يضربه ضربا غير مبرح بل ضربا معتادا لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر بضربهم لا لإيلامهم ولكن لتأديبهم وتقويمهم، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن ما ذهب إليه بعض المتأخرين ممن يدعون أنهم أصحاب تربية من أن الصغار لا يضربون في المدارس إذا أهملوا، ففي هذا الحديث الرد عليهم وهو دليل على بطلان فكرتهم وأنها غير صحيحة؛ لأن بعض الصغار لا ينفعهم الكلام في الغالب، ولكن الضرب ينفعهم أكثر فلو أنهم تركوا بدون ضرب لضيعوا الواجب عليه وفرطوا في الدروس وأهملوا، فلابد من ضربهم ليعتادوا النظام ويقوموا بما ينبغي أن يقوموا به وإلا لصارت المسألة فوضى[٢٦].

ثالثاً: ولماذا يؤمر الأولاد بالتفرق في المضاجع في العاشرة؟

يعتني الإسلام بالإنسان في جميع مراحل حياته، ويوجه المسلم للأسلوب الأمثل في التعامل مع كل مرحلة من مراحلها، ولعل مرحلة البلوغ تعتبر من أخطر هذه المراحل، والتي لها الأثر الكبير فيما بعدها من المراحل، حيث جاء التوجيه النبوي في هذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: (وفرقوا) وهو أمر من التفريق، (بينهم في المضاجع) أي المراقد، أي أماكن النوم؛ حذرا من غوائل الشهوة وإن كانوا إخوة أو أخوات، وتأديباً لهم ومحافظة لأمر الله كله وتعليما لهم والمعاشرة بين الخلق وأن لا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم؛ لأن بلوغ العشر مظنة الشهوة[٢٧].

قال عبد المحسن العباد: (وفرقوا بينهم في المضاجع) يعني أنهم لا يضطجع بعضهم مع بعض؛ حتى لا يحصل شيء من دواعي الشر أو شيء من الشيطان بحيث يحرك بعضهم على بعض، فلا يكون هناك اضطجاع من بعضهم مع بعضهم، وإنما يكون هناك تفريق، سواء أكانوا ذكوراً وإناثاً أم ذكوراً فقط أم إناثاً فقط؛ لأنه عندما يحصل التقارب يحصل بسببه شيء من تحريك الشهوة أو الفتنة أو ما إلى ذلك، فجاءت السنة بأن يمرنوا على ذلك، وأن يعودوا على ذلك وهم صغار، بحيث يبتعد بعضهم عن بعض، ولا يكون هناك تلاصق وتقارب بحيث يحصل معه شيء لا تحمد عقباه[٢٨].

ولد أجاد شاه ولي الله الدهلوي في تعليقه على هذا الحديث فقال: بلوغ الصبي على وجهين: بلوغ في صلاحية السقم والصحة النفسانيتين، ويتحقق بالعقل فقط، وأمارة ظهور العقل سبع، فابن السبع ينتقل فيها لا محالة من حالة إلى حالة انتقالا ظاهرا، وأمارة تمامه العشر فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عاقلا يعرف نفعه من ضرره ويحذق في التجارة وما يشبهها. وبلوغ في صلاحية الجهاد والحدود والمؤاخذة عليه، وأن يصير به من الرجال الذين يعانون المكايد، ويعتبر

٢٦ ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/ ٣٥٧).

٢٧ انظر: عون المعبود: ٢/ ١١٤ (٤٩٧) وتحفة الأحوذي: ٢/ ٣٧٠، ومصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني: ١/ ١٢١، مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح: ٢/ ٥٥٩.

٢٨ شرح سنن أبي داود: (٣/ ٣١٧).

حالهم في السياسات المدنية والملية، ويجبرون قسرا على الصراط المستقيم، ويعتمد على تمام العقل وتمام الجثة وذلك بخمس عشر سنة في الأكثر، ومن علامات هذا البلوغ الاحتلام وإنبات العانة. والصلاة لها اعتباران: فباعتبار كونها وسيلة فيما بينه وبين مولاه منقذه عن التردي في أسفل السافلين أمر بها عند البلوغ الأول. وباعتبار كونه من شعائر الإسلام يؤاخذون بها، ويجبرون عليها أشاؤا أم أبوا حكمها حكم سائر الأمور. ولما كان سن العشر برزخا بين الحدين جامعا بين الجهتين جعل له نصيبا منهما. وإنما أمر بتفريق المضاجع لأن الأيام أيام مراهقة فلا يبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه[٢٩].

وبعد هذا التجوال مع هذا الحديث في كتب الحديث وشرحه وكتب الفقه، آن لنا أن ننتقل إلى رأي علم التربية في هذا الموضوع وربطها بحديث يستفيد كلا العلمين من الآخر، فالعلوم يكمل بعضها بعضاً.

المبحث الثاني: دراسة تربوية للحديث:

المطلب الأول: ما الخصائص النمائية لأطفال مادون السابعة والفئة العمرية ما بين السابعة والعاشرة من العمر؟

المطلب الثاني: : ما هي معالم التكامل بين المعرفة العلمية لأبحاث الدماغ والأداء في الحديث النبوي؟

المطلب الثالث: ما الإطار التربوي القيمي الصحيح للتعامل مع هذه الفئة العمرية كما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بمرجعية ما تم التوصل له في السؤالين السابقين لتحقيق قيمتي التعلم والانضباط في سلوك الأبناء؟

المطلب الأول: ما الخصائص النمائية لأطفال مادون السابعة والفئة العمرية ما بين السابعة والعاشرة من العمر؟

مما ذكره علماء النفس أن الأعوام التي يمضيها الطفل قبل المدرسة هي أهم سنوات حياته، فمن خلالها يُحكم على طفولته وصباه ومراهقته حتى على شيخوخته، ومنها يستدل على مستقبله حسب بنائه النفسي وانفعالاته وتربيته عموماً، وانعكاس ذلك على فكره وتخيلاته.

وبالنظر والتأمل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنه قد استخدم كلمة: (مروا) موجها كلامه للأب أو ولي أمر الطفل لمن أتم السابعة أما الأطفال الذين أتموا العاشرة من أعمارهم فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم كلمة: (اضربوهم) وجملة: (وفرقوا بينهم في المضاجع). ولاشك أن للكلمتين وجملة التفريق في المضاجع أهمية في الموقع المرتبط بصفات أطفال السابعة وما دون والأطفال ما بين السابعة والعاشرة، وسنحاول التركيز على أهم الصفات العقلية

٢٩ الدهلوي، شاه ولي الله، حجة الله البالغة (٣٩٥).

Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi | Cilt: IV | Sayı: 8 | Yıl: 2016/2

والمعرفية وكذلك بعض الصفات اللغوية التي لها ارتباط بما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبالعودة إلى بداية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنه استخدم كلمة: (مروا) بمعناها البلاغي الذي يخرج إلى معنى النصح والإرشاد ولم توظف بمعنى الأمر الحقيقي[٣٠]، وهذا يتوافق مع الرسالة المحمدية التي جاء بها صلى الله عليه وسلم عندما قال: (إنما بعثت معلماً...) [٣١] وحالها حال الكثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كقوله: (إياكم والجلوس في الطرقات...) [٣٢] فالمتأمل في هذا الحديث لا يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم الجلوس في الطرقات وإنما وجه النصح للمسلمين بتجنب الجلوس وإعطاء الطريق حقه فالرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يُخرج البشرية من الظلمات إلى النور لتبصر الطريق وتسير في سبيل الهدى والسلام وليس هناك سبيل لذلك غير دليل العقل والعلم.

وسنذكر في خضم الإجابة على هذا السؤال بعض الصفات العقلية والمعرفية وكذلك بعض الصفات اللغوية لأطفال السابعة وما دون والتي سماها (بياجيه) [٣٣] مرحلة ما قبل العمليات أو نهاية مرحلة ما قبل المفاهيم، على أن يتم استكمال جزءاً من هذه الصفات في بحر الإجابة عن السؤال الثاني لضرورة وأهمية ذكر الصفات في مكانها الأصح أثناء الحديث عن عمليات الدماغ.

وقد قسم بياجيه هذه المرحلة الى مرحلتين فرعيتين هما:

- المرحلة الأولى (مرحلة ما قبل المفاهيم) وتمتد من (٢-٤) سنوات.
- المرحلة الثانية (المرحلة الحدسية) وتمتد من (٤-٧) سنوات[٣٤].

فالمرحلة الأولى يسودها النشاط الرمزي (اللغة) وأهم ما يميزها أن استجابة الطفل تكون قائمه على معنى المثير، إذ تبدأ المثيرات في اكتساب معاني أخرى غير معانيها الحقيقيه، ولكن سنتجاوز التفاصيل حول هذه المرحلة لأهمية المرحله ما بين (٤-٧) سنوات، ليس لعدم أهميتها، ولكن لأن كل مرحلة هي نتاج للمرحلة السابقة واعداد للمرحلة التالية، لذا فإن نتاجها ممتد بتأثيره لما بعدها.

ومن صفات هذه المرحلة[٣٥]:

٣٠ عباس، فضل حسن ، البلاغة، فنونها وأفنانها،ص١٥٠.

٣١ أخرجه ابن ماجة (٢٢٩) قال المحقق: في الزوائد إسناده ضعيف . داود وبكر وعبد الرحمن كلهم ضعفاء، قال الألباني: ضعيف، والدارمي (٣٥٣).

٣٢ أخرجه البخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٣٩٦٧).

٣٣ بياجيه:عالم نفس وفيلسوف سويسري ولد في ٩/اغسطس/١٨٩٦م، طور نظرية التطور المعرفي عند الأطفال فيما يعرف الآن بعلم المعرفة الوراثية، توفي في ١٦/سبتمبر/١٩٨٠م.

34. www.faculty.mu.edu.sa/download.php?fid=40100.

35. www.abnaaelnaweia.yoo7.com/t1119-topic.

- مقدرته العالية على المشي والتحرك السريع واللعب.
- الرغبة الشديدة في تفحص الأشياء.
- فضوله العالي وحبه للاستطلاع وكثرة أسئلته.
- تكوين المفاهيم مثل الزمن، والمكان، والعد.
- تزداد مقدرته على التركيز والانتباه (ذاكره حادة).
- نمو مقدرته على الحفظ.
- حب التشجيع.
- حب اللعب والمرح.
- التفكير المثالي.
- الميل لاكتساب المهارات.

ومن صفات هذه المرحلة أيضاً[٣٦]:

- نمو سريع في اكتساب اللغة والمهارات الحركية ونمو سريع في جميع جوانب الشخصية.

- بداية التنميط الجنسي حيث يميل الأولاد إلى تقليد ما يعمله الرجال وتميل البنات إلى تقليد ما تعمله النساء.

- بنهاية هذه المرحلة واكتساب بعض المفاهيم المجردة وفهمها يبدأ ظهور ما يسمى بالضمير أو وسائل الضبط الذاتي بخصوص الممنوع والمرغوب وتتضح كذلك الفروق الشخصية بين الأطفال.

- يستطيع الطفل مع نهاية هذه المرحلة أن يفرق بين الصواب والخطأ وبين الخير والشر وخاصة في المواقف المباشرة والمتقاربة زمنياً.

وعند النظر للجانب اللغوي فقد اتفق علماء النمو أن هذه المرحلة هي أسرع مرحلة نمو لغوي تحصيلاً وتعبيراً وفهماً، وتسمى هذه المرحلة بالعصر الذهبي للغة في حياة الطفل، فهو يلتقط كل جديد من الكلمات، ويحاول جاهداً أن يكرر كل ما يسمعه ويقلد كل ما يراه بسبب قدرته العاليه على الانتباه[٣٧].

وتضيف الدكتورة (سعديه بهادر) بأنه من المناسب انتهاز المرحلة التي يعبر عنها المتخصصون (بنوافذ الفرص) وهي الفترة من (٤ – ٧) سنوات، وتزويد الطفل بالعديد من الخبرات والمعلومات

٣٦ أبو جعفر، محمد عبد الله ، علم النفس النمو، ص٨٧.

37 www.abnaaelnaweia.yoo7.com/t1119-topic.

عن الانسان، والحيوان، والنبات...وعن الماء، والبيت، ووالديه، وعن الصلاة، والصوم... وتضيف أن أفضل أنواع التعلم تتمثل في التعلم بالاستكشاف والبحث، والتعلم بالمحاولة والخطأ، والتعلم بالاستبصار والملاحظة الدقيقة، إذ إن الطفل بهذا السن لاقط وملاحظ ومقلد سريع التعلم[٣٨] وعلى الوالد أو ولي الأمر تعليم ابنه في هذه الفترة الكثير من شؤون الدين والحياة كأن يعلمه الوقوف بجانبه وقت الصلاة، وأن يصطحبه معه للمسجد في صلواته، وألا ينسى الأب أن يجعل للبيت نصيباً من صلاته كأداء السنن والمستحبات فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً «[٣٩] وتعد هذه فترة مناسبة لتهيئة الصبي لفترة الأمر وهي الفترة التي تمتد إلى ما بعد تمام السابعة.

وفيما يتعلق بالفترة من (٤ — ٧) سنوات فقد ذكر الباحث في مقالة له بعنوان «الآثار السلبية والإيجابية للتلفاز» إن الوصلات العصبية التي تصل بين نصفي الدماغ هي التي تحدد طرق ودرجة التطور العقلي المعرفي لدى الإنسان، إذ أن هذه الوصلات تبدأ في الظهور في الشهر الرابع من عمر الجنين وحتى نهاية السنة الثانية، وتزداد سرعتها في النمو من عمر الأربع سنوات وحتى سن السابعة، لذلك فإن هذه الفترة أي من الأربع إلى السبع سنوات تعد من أفضل فترات النمو المعرفي للطفل وهي ما أطلق عليها علماء الدماغ (نوافذ الفرص) [٤٠] وسيتم التركيز على موضوع الدماغ في بحر الإجابة عن السؤال الثاني.

وهذا ما أكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه، حيث أشار إلى أهمية عمر السابعة دون علمه بعمق التركيب الدماغي الذي خلقه الله سبحانه وتعالى عليه دماغ الطفل في أن هذه هي أهم فترات التعليم وما يرسخ في دماغ الطفل في هذه الفترة يخزن إلى الوفاة، وبالتالي فإن الوصول إلى مرحلة الأمر عند السابعة يُعد سهلاً إذا أحسنّا الإعداد له في الفترة السابقة والتي يُعد ذروة التعلم للطفل وهي ما دون السابعة.

أما فيما يتعلق بمرحلة ما قبل المراهقة أو مرحلة العمليات كما سماها (بياجيه) وهي المرحلة الممتدة من سبع سنوات إلى عشر سنوات (٧ — ١٠) يبدأ الطفل في هذه المرحلة بالاقتراب من مفاهيم الكبار وإدراك معاني الحياة أكثر، حيث يصل الطفل في هذه المرحلة إلى حوالي نصف قدراته العقلية التي يتم استكمالها في المستقبل[٤١].

وأهم صفاته في هذه المرحلة هي[٤٢]:

٣٨ بهادر، سعدية ،برامج تربية أطفال ما قبل المدرسة، ص ٢٠- ٣٧.

٣٩ أخرجه مسلم (١٣٠٤).

40 www.dr-khader.com

٤١ صالح، علي ، نظرية العقل لدى الأطفال، التنظير الحديث في النمو المعرفي،ص٨٩.

٤٢ نفسه ص٩٠.

١. الملاحظة والإدراك: حيث نجده

- ذا مقدره عالية على تفسير الأحداث والمواقف التي يلاحظها بدرجة أفضل من ذي قبل.

- مقدرته العالية على توظيف المفاهيم والمدركات العقلية.

٢. الانتباه:

يلاحظ ازدياد مقدرته على الانتباه، ويستدل على ذلك في مقدرته على تنظيم نشاطه العقلي، وتركيز انتباهه على المواضيع لمدة طويلة، ويصبح قادراً على منع مشتتات الانتباه، كما وتزداد مقدرته على تقويم وتفسير الظواهر المحيطة.

٣. التذكر:

تجده في هذه المرحلة يتذكر المواضيع عن فهم وإدراك، بينما كان في مرحلة الطفولة السابقة يتذكر الأشياء التي حفظها بطريقة آلية، كما تتطور لديهم استراتيجيات أفضل تساعدهم على التذكر، وأهم الاستراتيجيات المستخدمة: إستراتيجية التسميع، والتنظيم، والتوسعة.

٤. التخيل:

نجد في هذه المرحلة نمو ذاكرته بشكل كبير ولذا يكون خياله واقعياً وإبداعياً.

٥. ضبط معالجة المعلومات:

وهذه إحدى خواص دماغ الطفل في هذه المرحلة، فتزداد مقدرته على معالجة المعلومات، واتخاذ القرارات حول أولوية المعالجة، إذ يوسع الدماغ من الذاكرة العاملة مؤقتاً عن طريق نقل المعلومات إلى نظامين مساعدين إضافيين، أحدهما يحتفظ بالمعلومات اللفظية، والآخر يحتفظ بالصور المكانية والبصرية، ومن مهام الدماغ الأساسية في هذه المرحلة هو نقل المعلومات إلى الذاكرة طويلة المدى، واسترجاعها بسهولة، لذا فإن الطفل في هذه المرحلة يكون أقل تشوشاً وارتباكاً من الأطفال الأصغر سناً بسبب تطور عمليات الدماغ، كما أنه أقل تشوشاً من الأطفال الأكبر سناً منه (المراهقة) بسبب الثبات الانفعالي، حيث إن فترة إفراز هرمونات المراهقة لم تبدأ بعد.

٦. حل المشكلات: يُظهر الأطفال في هذا السن:

- مقدرة أكثر في إيجاد استراتيجيات أكثر تطوراً في حل مشكلاتهم.

- مقدرة أعلى على التخطيط بعيد المدى المناسب لأنشطتهم مثل: تنظيم مادتهم الدراسية وتحديد سقف زمني لها.

- مقدرة على دمج التخطيط بطريقة الأداء فنراهم يغيرون أدائهم ليصبح أسرع بتخطيط وزمن أقل.

٧. الحساسية الزائدة:

أو ما تسمى نظرية العقل عالي الرتبة إذ إن الطفل في هذه المرحلة يكون قادراً على تمثيل الموقف الانفعالي بدرجة عالية وحساسية كبيرة جداً، أو ما يسمى (زلة السلوك الاجتماعي)، وعلى سبيل المثال – من أجل تقريب الفكرة أكثر – إذا قال طالب لزميله أنا أكره طبخ الرجال وكان يعلم أن والد زميله هو من يصنع الطعام في مدرستهم، هذا يؤدي إلى أن الطالب السامع سيشعر بالامتعاض والسوء، من هنا نلاحظ وجود مكونين، الأول: معرفي، والثاني: انفعالي.

وهذا مرادنا في بحثنا إطلاق الرسول صلى الله عليه وسلم لكلمة (واضربوهم) حيث أشار بالكلمة للآباء وأراد بها الأطفال الذين أتموا العاشرة، حيث اكتمل لديهم النمو والنضج اللازم لإطلاق كلمة (اضربوهم) حيث يؤدب الطفل — حسب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم – على تركها بعد تمام العاشرة من أجل أن يتعود عليها ولا يجد مشقة في أدائها عند البلوغ، فالطفل في هذه المرحلة حساس لدرجة أنه لا يتحمل أن توجه له أية كلمة يُراد بها سوء، ولذا سيستجيب باهتمام شديد لأي أمر وملاحظة تطلب منه حتى لا يتعرض للإحراج في سماع كلمات هو في غنى عن سماعها، وآخر العلاج الكي، فكلمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقرار الضرب لا تكون إلاّ في حالات نادرة، لم يستجب بها الطفل وأهمها إصراره على تركها. مع عدم إغفال المعنى اللغوي والفقهي لمفهوم الضرب في الإسلام.

فقد ذكر العديد من علماء المسلمين الضرب وأعطوه أهمية قصوى فالشيخ ابن عثيمين — رحمه الله — قال: " أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نأمر أولادنا بالصلاة لسبع سنين، وأن نضربهم عليها لعشر سنين، مع أنهم لم يُكلفوا بعد، من أجل أن يتمرنوا على فعل الطاعة ويألفوها، حتى تسهل عليهم بعد الكبر، وتكون محبوبة لديهم، كذلك الأمور التي ليست بالمحمودة، إذ ينبغي أن يتعّود الصغار عليها وإن كانوا غير مكلفين ؛ وذلك من أجل أن يألفوها عند الكبر ويستسيغوها".وقال أيضا:" الأمر للوجوب، لكن يقيد إذا كان الضرب نافعاً؛ لأنه أحياناً يضرب الصبي ولكن ما ينتفع بالضرب، ما يزداد إلا صياحاً وعويلاً ولا يستفيد، ثم إن المراد بالضرب الضرب غير المبرح، الضرب السهل الذي يحصل به الإصلاح ولا يحصل به الضرر »[٤٣].

والضرب هو نوع من التأديب وأحد أنواعه التوبيخ، ويكون بالمرحلة الأخيره، وبعد استنفاذ كل الطرق الممكنة بالنصح والإرشاد ويلي ذلك التوبيخ ومن ثم الحرمان ويفترض أن يصاحب

43 http://islamqa.info/ar/127233

ذلك الدعاء لهم[٤٤]، فقال عز وجل: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [٤٥].

المطلب الثاني: ما هي معالم التكامل بين المعرفة العلمية لأبحاث الدماغ والأداء في الحديث النبوي؟

الدماغ هو العضو الأساسي أو مركز العمليات الذي يمد الفرد بأساسيات النمو الجسماني والمعرفي، والعاطفي، والاجتماعي، وتعد الخلايا العصبية هي الوحدات الأساسية للجهاز العصبي فهي تقوم بعملية استقبال ونقل الرسائل بين أجزاء الجسم والناتجة من الحركات والأصوات والرؤيا البصرية التي يتعرض لها الفرد[٤٦].

ويتكون الدماغ من نوعين من الخلايا، الأولى الخلايا العصبية، والثانية الخلايا الغروية، ويبلغ عدد الخلايا العصبية للطفل حديث الولادة حوالي مئة بليون خلية وترتبط كل واحده منها بالأخرى لتكوين شبكة مسؤولة عن السيطرة على كل الوظائف العقلية، وهي الخلايا الأساسية للتعلم،وبعضها لا يكوّن ترابطات وتبقى غير مستخدمة، لأن الدماغ يعمل وفق قانون إما أن تستخدمه أو تفقده وذلك حسب حجم وكمية التعلم الواردة للدماغ يومياً خلال حياة الفرد، بمعنى تصبح الأعصاب غير المستخدمة عديمة الفائدة وهذا لا يعني أنها ستفقد، ولكن ببساطة تفقد قدرتها على التعلم، كما يسيطر الدماغ على جميع الانفعالات الإنسانية التي تشمل الحب، والكره، والخوف، والغضب، والحزن.....الخ، كما يستقبل الدماغ أيضا ويفسّر الإشارات التي لا تحصى والتي تصل إلية من الأجزاء الأخرى من الجسم ومن البيئة الخارجية[٤٧].

أما الخلايا الغروية فأهم وظائفها[٤٨]:-

- تتيح لخلايا التعلم العمل بأقصى طاقاتها.
- تساعد في نقل الرسائل.
- هضم أجزاء الأعصاب غير القادرة على متابعة النشاط.
- توفير مادة المايلين وهي طبقة دهنية تغطي منطقة المحور الناقل وهو المحور الخارج من جسم الخلية العصبية، وتقوم هذه المادة بالعزل الكهربائي للمحور الناقل لكي تسمح وتسهل

44 http://www.youtube.com/watch?v=LXKCgSDm-BY

٤٥ سورة الفرقان: (٧٤).

46 http://www.gifted-ch.net/?p=283

47 Jensen, Eric.Brain-Based Learning.p112

48 Chudler,The forgotten Brain cell. P325

انتقال الإشارات الكهربائية الناقلة للمعلومات عبره للخلية العصبية المجاورة، وتتولد هذه المادة عندما تبدأ الخلية العصبية بإرسال الإشارة الكهربائية للخلية المجاورة لها، ولذا فإن الشبكة العصبية التي يكثر استخدامها تزداد فيها مادة المايلين، مما يسهل عملية الارتباطات بين الخلايا العصبية.

وجدير بالذكر أن ترسب مادة المايلين على جهازي الحركة والإبصار تبدأ من الولادة وتنتهي بعمر سنتين، ويبدأ بعدها ترسب هذه المادة – والتي تسرع عملية نقل المعلومات كما ذكر سابقاً – على المناطق المخصصة لاكتساب اللغة لتستكمل حتى سن سبع سنوات. إذ إن الطفل في هذا السن – أي ما قبل السبع سنوات– لا يفكر بالأسلوب المجرد وإنما بوجود بيئة مادية حسية محفزة, وحتى سن العاشرة يترسب المايلين على المناطق المخصصة للتفكير والإدراك حيث يبدأ تفكير الطفل يميل إلى البيئة المجردة مع أهمية وجود البيئة الحسية المحفزة[٤٩].

ويحدث التعلم عند تكوين ارتباطات شبكية بين مجموعة من الخلايا العصبية، فعندما يطالب الأب ابنه بالصلاة وينصحه ويسبق ذلك ممارسة جدية للصلاة من قبل الأب والأم وباقي أفراد الأسرة، فإن هذا يعد تعرض لخبرة جديدة محفزة لارتباطها بالأداء البصري، فإن الدماغ في هذه الملاحظات والسلوكات التي وصلته يعمل ارتباطات بين مجموعة من الخلايا العصبية وتتوسع هذه الارتباطات وتصبح اقوى وأوسع بممارسة الصلاة أكثر أمام الصبي ومراقبته للأداء والحركات التي تتم أمامه، بل إن التواصل بين الخلايا العصبية يصبح أسرع من ذي قبل عند تكرار الطلب أو النصح من الأب والمرتبط بصرياً بالصلاة.وهذا ما أشرنا له مسبقاً في الإجابة عن السؤال الأول حيث إن أفضل أنواع التعلم للطفل في عمر ما دون السابعة من خلال التعلم بالاستبصار والملاحظة الدقيقة، وقد ذكرنا أن الطفل في هذا السن لاقط وملاحظ ومقلد سريع التعلم، ولذا وجب أمره عند تمام السابعة.

ويؤدي ذلك في كل مرة وبازدياد التكرار إلى تزايد ترسب مادة المايلين حول النواقل وبالتالي يزيد عملية التفاني والحفظ والتذكر، ويصبح من السهل على الدماغ إجراء اتصالات بين الخلايا العصبية التي شكلت شبكه ممتده فيما بينها حول الموضوع المعني، أي تصبح عملية التعلم أكثر سهولة ويسر وتخزن في الذاكرة طويلة المدى[٥٠].

وقد أكد (عبد الكريم) فيما يخص التعلم بالملاحظة والقدوة، أن مراقبة الطفل – وخاصة طفل ما دون السابعة – لأحد أشقائه الأكفياء يمكن أن يعلمه درسا قيّماً، إذ إن الأطفال عادة يتعلمون بشكل جيد عن طريق الملاحظة. والتعلم غير المباشر الذي يتم بالملاحظة هو تعلم قوي جدا، ويمكن تسهيل عملية التعلم بالملاحظة عن طريق تهيئة الجو الودي المناسب، فتصبح مراقبة

٤٩ ا الحارثي(ب)، ابراهيم ،التفكير والتعلم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ، ص٦٠-٦٥.

50 Spreger .Teaching for Higher Level Thinking.pp5-6

الطفل لأحد والديه أو إخوته أثناء تأديته العمل شيئا مسليا[٥١].

يلاحظ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وُجّه للأب أو ولي الأمر الملتزم المصلي، وكأنها رسالة للأب تعلمه أن اكساب الابن هذه الصفات الحميدة التي يتصف بها هو كأب أو كولي أمر، لا تكون إلا من خلال القدوة الحسنه للأبناء وممارسة الفعل الحسن أمامهم، حيث إن طفل ما دون السابعه يكون لاقط عجيب لكل ما يحدث أمامه، ودور الأب توفير الجو البيئي المناسب لتسهيل إكتساب ابنه التعلم المثالي في جو مليء بالتشجيع.

فقد دلت الدراسات أن التعلم المثالي الذي يوصل الابن الى الابداع لا يحتاج الى معاملات ذكاء عاليه بمقدار ما يحتاج الى الرعاية والتشجيع بتوفر شرطين: الأول: الأمن النفسي، والثاني: الحرية النفسية. ولتحقيق ذلك يحتاج إلى:

١- قبول الطفل كما هو بجميع صفاته الحالية وبلا شروط

٢- ومنحه الثقة بصرف النظر عن حالته الحاضرة.

٣- تجنب نقده وتكرار توجيهه وتقويمه بالحسنى.

٤- الشعور مع الطفل، ومحاولة رؤية العالم من الزاوية التي ينظر إليها الطفل وفهمه وقبوله وقبول أفكاره[٥٢].

وكملخص للسؤالين الأول والثاني نستنتج أن دماغ الإنسان يولد بأكثر من تريليون من الروابط أو الوصلات العصبية والعديد من هذه الوصلات الجديدة تتكون مع النمو الحسي المبكر للطفل حيث تتزايد سرعتها في النمو ما بين عمر الأربع سنوات والسبع سنوات، وأن استهلاك الأطفال في العمر المذكور لسكر الدم ضعف الاستهلاك لدى الراشدين مما يشير إلى زيادة النشاط المخي وبالتالي اعتبار فترة النمو هذه أفضل فترات النمو المعرفي للطفل، وهي ما تسمى بنوافذ الفرص، حيث تكون الوصلات العصبية مهيأة لتخزين كل ما يتعلمه الطفل، وقد أكدت الصفات التي ذكرت مسبقاً استقبال الطفل للنصح والإرشاد والذي يأتي كإحدى مفاهيم (الأمر) لكل كبيرة وصغيرة إذ أنه يكون:

- ذو مقدرة عالية على التركيز والانتباه (ذاكرة حادة).
- حبه للتشجيع واستجابته السريعة للتعزيز.
- رغبته العالية في اكتساب المهارات.
- نمو ظاهرة التنميط الجنسي حيث يميل الأولاد إلى تقليد ما يعمله الرجال وتميل البنات

٥١ عبد الكريم، كامل حمدي،(البناء الاسري في الاسلام ودوره في الاصلاح المجتمعي) ، ص ٢٨.

٥٢ الحارثي(أ)، ابراهيم ،تعليم التفكير ،ص ٤٩-٥٠.

إلى تقليد ما تعلمه النساء.

- تبرز لديه خاصية الممنوع المرغوب.
- يستطيع أن يفرق في نهاية هذه المرحلة بين الصواب والخطأ.
- كما أنه مقلد لكل ما يرى ويسمع.

وقد ذكرت (سعدية بهادر) أيضاً أن أفضل أنواع التعلم تتمثل لديه في التعلم بالاستكشاف والتعلم بالمحاولة والخطأ والتعلم بالاستبصار والملاحظة الدقيقة، إذ أنه في هذه السن ملاحظ ومقلد وسريع التعلم.

لكل ما سبق فإن هذه الصفات التي أودعها الله به تُعد بمثابة استعداد فطري لتقبل (الأمر) بالصلاة ولأي شأن آخر تعلمي أو انضباطي، سواء بمعناه الذي يأتي بمعنى النصح والإرشاد أو بمفهوم الأمر المتعارف عليه بين العامة كأن تقول له '' صليت ؟... '' '' قم صلِّ.. '' أو بالتلميح المباشر كأن يقول له '' كم بقي للأذان ؟ '' '' هل توضأت ؟ ''.

وبما أن ذروة التعلم للطفل هي من الرابعة وحتى السابعة فإن كل ما يؤمر به الطفل وما ينصح به يُعد بمثابة ختم يلصق في دماغه وينشأ عليه وينفذه ما دام في هذه الحياة. لجميع هذه المبررات ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا).

إلا أنه وبعد سن السابعة يبدأ الدماغ بإفراز هرمونات تبدأ بتعطيل عمل الوصلات العصبية الزائدة التي لم تستخدم في تخزين المعلومات لأسباب كثيرة أهمها ضآلة الخبرات التي يتعرض لها الطفل، ويستمر ذلك حتى سن العاشرة من العمر حيث تكتمل عملية طرح الوصلات التي لم تستخدم لأن الخبرة – كما ذكرنا مسبقاً – هي التي تحدد أي الوصلات تُطرح أو – وهو الأهم – وأيهما يبقى.

هذا من الجانب العلمي المجرد والذي يعرف بعلم أبحاث الدماغ، وبما أن هذه الأعصاب ستفقد، إذن يجب استغلال هذه الصفة الدماغية قبل نفاذ الوقت المتاح لها – وهو حتى تمام العاشرة –.مع الصفات الأخرى التي ذكرت في خضم السؤال الأول مثل:

- قدرته على تقويم وتفسير الظواهر المحيطة.
- قدرته العالية على معالجة المعلومات واتخاذ القرارات حول أولوية المعالجة.
- قلة التشوش الفكري والثبات الانفعالي.
- قدرته الكبيرة على التخطيط بعيد المدى.
- كما أنه على درجة عالية من الحساسية الانفعالية.

من هنا فإن صلاحية الأعصاب الدماغية حتى العاشرة – إن جاز لنا التعبير – مع الصفات الفطرية سابقة الذكر والتي قد ترتقي إلى العقلانية –كما لاحظنا – تجبرنا تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإيقاع عقاب الضرب بمفاهيمه سابقة الذكر ليدرك بأن أمر الله منزل وليس به جدال، فيرسخ في دماغه أن السلطة الكبرى التي أُمرنا منها تتطلب الامتثال والانصياع، ولا مجال للتردد، والتفكير ولا شك أن المرور في هذه المرحلة – بما تحمله من صفات دماغية فسيولوجية وعملية – دون رسوخ مفهوم الصلاة وما يتبعه من تعلم وانضباط يعد خطيراً، إذ إن الأعصاب غير المستخدمة ستصبح عديمة الفائدة إذا لم تخزن هذه الأوامر.

من هنا جاء الأمر بثبوت الضرب حتى ترسخ في دماغه لتصبح عادة يتعود ويسلك عليها إن لم يستطع الأب ترسيخها كقناعة.

ويجدر العلم أن نتاج ما توصلت له الدراسة من خصائص الطفولة في الملخص أعلاه، وتلاقي ذلك (مع بعض خصائصهم في مرحلة المراهقة ومن أهمها التفكير بالجنس الآخر بكثرة وبالعمليات الجنسية بسبب زيادة الهرمونات الجنسية لدى الطرفين) [٥٣]. كل ذلك يستوجب على الوالدين فصل الأبناء الذكور عن الإناث في المضاجع وعدم اختلاطهما، حيث إن المراهق في هذا السنة يوغل كثيراً في التفكير في الجنس الآخر، بسبب سيل الهرمونات المفروزة في جسمه ولذا ومن باب درء المخاطر، وعدم صب الزيت على النار، أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بفصل المضاجع.

من خلال الملخص السابق تولدت أهمية الإجابة عن السؤال الثالث من خلال زبدة ما توصل له الباحثان في السؤالين السابقين.

المطلب الثالث: الإطار التربوي النبوي لتحقيق التعلم والانضباط

والسؤال هنا: ما هو الإطار التربوي القيمي الصحيح للتعامل مع هذه الفئة العمرية كما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بمرجعية ما تم التوصل له في السؤالين السابقين لتحقيق قيمتي التعلم والانضباط في سلوك الأبناء؟

قبل البحث في الإطار التربوي الصحيح للتعامل مع هذه الفئات يفترض توضيح البيئة التربوية والصحية الحقيقية التي تؤثر بصورة إيجابية وتكون داعمة لنمو الدماغ ومن صفات هذه البيئة[٥٤]:

- الدعم والرعاية العاطفية.
- توفر الغذاء الصحي المحتوي على البروتين والفيتامينات والمعادن والسعرات الحرارية الكافية.

53 www.dr-khader.com

٥٤ عبد الجليل، باسل ، من كيمياء الدماغ إلى التعلم والإبداع، ص ١١٦، ١٤٥ – ١٥٧.

- فيها من الأنشطة ما يكفي لاستثارة جميع حواس الطفل، وتطور مهاراته جميعها العقلية والجسمانية والفنية والاجتماعية والعاطفية.
- خلوها من الضغط والتوتر وفيها مساحة كافية للسعادة والمرح.
- تقدم سلسلة من التحديات الجديدة المتناسبة مع عمر الطفل.
- تسمح للتفاعل الاجتماعي في عدد مناسب من الأنشطة.
- تعطي الفرصة والحرية الكافية للطفل ليختار ويعدل ويضيف إليها.
- تسمح للطفل بأن يكون مشاركاً نشطاً بدلاً من مشاهد سلبي، وبناءً عليه فالبيئة التربوية ليست بيئة محايدة، فهي إما بيئة محفزة وداعمة لنمو الوصلات العصبية أو أنها بيئة تؤدي إلى ضعف وجفاف هذه الوصلات وبالتالي تعطيل عملها ومن ثم طرحها.

وفيما يتعلق بالإطار القيمي الصحيح للتعامل مع الطفل فإن هناك متطلبات أساسية يجدر التنويه لها قبل ذلك إذ إن الاهتمام بالطفل بجميع جوانبه تبدأ حقيقة من مرحلة الحمل، فالطفل له حق على أمه خصوصاً وعلى والديه بشكل عام في المرحلة التي يكون لا زال بها في رحم أمه. (إذ إن أثر حياة الأم الحامل ينتقل إلى الجنين جسمياً ونفسياً كسوء التغذية ونقص الفيتامينات أو الأملاح أو الأكسجين في دم الحامل أو السمات الانفعالية الحادة أو القلق والخوف والحوادث والتدخين وتعاطي المخدرات أو الحمل في سن مبكرة أو متأخرة... كل ذلك له أثر صحي ونفسي بالغ الخطورة على صحة الجنين، خاصة أنه ينمو بسرعة فائقة ليزيد حجمه ووزنه وطوله وتتكون أجهزته وأطرافه بالساعات والدقائق) [٥٥].

إضافة لما سلف فإن هناك عوامل أساسية أخرى يجدر التنويه لها تؤثر بشكل أو بآخر على نمو الجنين أهمها:

١) عمر الأم: فقد أشارت الدراسات أن احتمالات الصحة الجسدية والنفسية للجنين تزداد كلما كان عمر الأم بين العشرين والخامسة والثلاثين وتقل هذه الاحتمالات لأطفال الأمهات دون العشرين وفوق الخامسة والثلاثين.

٢) غذاء الأم: إذ يفترض أن يكون غذاء الأم متوازناً صحياً، فليس الاهتمام بالجنين في كثرة الطعام وإنما بنوعية الطعام.

٣) العقاقير: التي يجب أن لا تؤخذ إلا بعد استشارة الطبيب المتابع لحالة الحامل، إذ إن كثرة العقاقير تؤدي إلى اختلال صحة المولود وتشويه خلقته.

٤) الإشعاعات: يجدر العلم أن تعرض الأم للإشعاعات وخاصة أشعة أكس في الأسبوعين

٥٥ أبو جعفر، محمد عبد الله ،علم النفس النمو، ص ٦٤.

الأولين تدمر البويضة وفي الأسبوعين الثالث والرابع تؤدي إلى تشوه البويضة، من هنا يجب على الحامل عدم التعرض لهذه الأشعة وغيرها.

٥) الحالات الانفعالية: إذ إن الإجهاد والإرهاق النفسي للحامل يؤدي إلى تغيرات في كيمياء الدم تؤدي إلى تغيرات في الجهاز العصبي للجنين وتهيجه ولذا قد ينعكس ذلك على تصرفات الطفل بعد ولادته وخلال نشأته.

من هنا فإن دور الأبوين المسلمين يبدأ من لحظة زواجهما حيث إن الاهتمام بصحة الجنين من خلال صحة الأم سواء من الناحية الجسدية والاهتمام بنوعية الطعام وتوازنه أو الناحية النفسية التي تنعكس مباشرة على الجنين، وذلك لضمان ولادة طفل متزن انفعالياً وجسدياً، عندها تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة ما بعد الولادة وهي النشأة الإسلامية الحقيقية.

الشخصية الإسلامية المتوازنة إنفعالياً للطفل المسلم تنطلق من والديه، فهما الشخصان الأساس المسؤولان عن زراعة البذرة الطيبة في صدر ابنهما لترجمتها إلى سلوك مستقبلاً، ومما توصلنا له من خلال تحليل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في السؤالين الأول والثاني إلاّ ليكون لنا مرجعاً نستمد منه تربيتنا الحقيقية للوصول بالطفل إلى قيمتي التعلم والانضباط بترجمة الحديث إلى تعامل وسلوك حقيقي من خلال منطلقين متتاليين هما [٥٦]:

الأول: تعديل البيئة المحيطة بالطفل.

الثاني: استهداف الطفل بالوسائل التربوي والتعليمية الإيجابية.

وفي التعمق أكثر في المنطلقين السابقين لتوضيحهما أكثر نرى:

الأول: تعديل البيئة المحيطة بالطفل.

لا يمكن للطفل أن يكتسب النشأة الإسلامية الحقيقية بكل جوانبها وأهمها في بحثنا هذا قيمتي التعلم والانضباط إلاّ إذا كان يرتع في بيئة إسلامية حقيقية، كما أنه لا يمكن إنكار أن تربية الوالدين السابقة في طفولتهما لها تأثيرها الرئيس على سلوكهم، ولهذا ومن خلال حديث رسولنا الكريم في الأمر والضرب، وهما حدثان لا يستوجبان ولا يحقان إلا من أبوين يمثلان القدوة الحسنة في عملهما وانضباطهما، وعليهما أن يدركا أنهما لا يعيشان لنفسيهما وإنما ليربيا ابناً باراً لأمته وقائداً فذاً، ولذا يستوجب تعديل سلوكهما ليمثلا القدوة الحسنة وعلى رأس السلوك الصلاة، فلا يمكن أن نأمر الطفل بالصلاة أو بأي سلوك إسلامي ونحن لا نمارسه، فقد قال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [٥٧].

٥٦ إبراهيم عبد الستار والدخيل، عبد العزيز وإبراهيم، رضوان، العلاج السلوكي للطفل، أساليبه ونماذج من حالاته، ص٣٢.

٥٧ البقرة: ٤٤.

والغرض في الآية الكريمة أن الله تعالى ذم من يأمر بالخير ولا يفعله ونبه من يتصرف ذلك إلى هذا الصنيع الخطأ في حق نفسه.

وفي حديث آخر: عن أَنَس بْن مَالِك ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ'' : مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْم تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَار ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاء ؟ ، قَالُوا : خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ''[٥٨].

ولذا يستوجب على الوالدين تحمل مسؤولياتهما في التحكم في كل المنبهات والتأثيرات الخارجية المحيطة في ابنهم ومنها السيطرة على المشكلات الأسرية التي تحدث بين الوالدين أنفسهم أو بين الوالدين وغيرهم من أفراد الأسرة الكبيرة أو الجيران أو أيّ من أفراد المجتمع، ومحاولة تجنبها ما أمكن ومحاولة محورة هذه المشكلات – إن حدثت – أمام الطفل لتكون وسيلة تعليمية بتصرف الوالدين في المشكلة بهدوء وتروي وعدم إطلاق أي ألفاظ نابية أو التصرف بأي سلوكيات خطأ، ليرتقي ابنهم إلى فن إدارة الخلافات والأزمات ولا ينحدر إلى مستنقع السوء[٥٩].

الثاني: استهداف الطفل بالوسائل التربوية والتعليمية الإيجابية:

يقصد باستهداف الطفل بالوسائل التربوية والتعليمية الإيجابية بأن يكون حاضراً في ذهن الوالدين طول اليوم ويبقى داخل إطار تربوي مستمر، حتى أنهما يجب أن يفكران بأي تصرف يقومان به وما تأثيره السلبي أو الإيجابي على طفلهما، فقد ذكر ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٦٠]، فالمسؤولية لا تعني فقط المسؤولية المادية بل ويقصد بها أيضاً المسؤولية التربوية النفسية في التوازي مع المسؤولية المادية.

ومع تعدد الحاجات وتنوعها فنحن بحاجة إلى ما يكفل بقاؤنا كالغذاء والأمن والتخلص من التوتر والشفاء من الأسقام والأمراض والألم الجسمي ونحن كذلك بحاجة إلى الترفيه وإلى الحب وإلى اللعب وإلى القبول من الآخرين ويعني ذلك أننا بحاجة إلى الحاجات المادية والتربوية كذلك[٦١].

وأهم الحاجات التي تُعد من ضروريات تربية الأبناء بالتوافق مع ما توصلت له الدراسة في الإجابة عن السؤالين الأول والثاني وتوافقاً مع خصائص الأطفال في الفترة الممتدة من سنتين وحتى وصوله إلى سن المراهقة هي[٦٢]:

٥٨ أحمد (١١٩٨٦).

59 www.dr-khader.com

٦٠ أخرجه البخاري (٨٤٩) ومسلم (٣٤١٤).

٦١ أبو جعفر، محمد عبد الله ،علم النفس النمو، ص١٠١.

62 www.dr-khader.com

١ – القدوة الحسنة:

تعد القدوة الحسنة أهم ما نبه إليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أن القدوة الحسنة بالمصاحبة الحسنة تعد من أفضل وسائل تربية الطفل، إذ يرى والده يتوضأ، ويصلي، ويحث أصدقاؤه كذلك، ويلاحظه يسبح ويلاحظه يسلم على الناس في الشارع، ويسوق سيارته باحترام، ويلتزم بالقوانين والأنظمة ويغض بصره ويساعد الآخرين، ويلاحظه يتصدق ويحج ويزكي ويلاحظه يتصرف كل ما هو مطابق لتعاليم الإسلام، فتعلق في دماغه كل تلك التصرفات الحسنة فينشأ طفلاً منضبطاً متعلماً.

٢ – التواصل والحوار:

إن من أهم أركان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الطفل بعد تمام السابعة هو التواصل والحوار قبل هذا السن حيث إن الطفل يتصف بشدة الانتباه وبكثرة أسئلته ونقاشاته ويُعد هذا من أساس التربية، فليس الإجابة عن أسئلته هو الهدف الأساسي، بل يفترض بناء منظومة من لغة التواصل والحوار والعلاقة الطيبة المبنية على المحبة والآلفة بين الوالد وابنه.

٣ – تجنب النقد الدائم:

إن إدراك الوالدين لخصائص الابن في كل مرحلة من المراحل تؤكد لهما أن طبيعته الإنسانية تستوجب تخفيف الضغط النفسي عليه والتقليل من نقده، حتى يشعر الطفل مع ذلك بالأمان والاستقرار في بيئة آمنة مستقرة بكنف والديه، مما ينعكس إيجابياً في استجابته لكل ما يأمر به الأب.

٤ – بناء تقدير الذات:

من المهم بناء شخصية الابن بصورة إيجابية تشعره بالكفاءة والاستقلالية، فيشعر أنه مهم في حياة الوالدين وأنه محبوب من قبل الجميع وهو موضع احترام، ووجوده في حياتهم يمدهم بالسعادة والفرح والسرور. ويعطيانه من الحب والعطف والحنان والحياة المطمئنة ما يحتاج فيطوران لديه شعوراً بالرضا عن ذاته فينشأ طفلاً سوياً متزناً مستجيباً.

٥ – إيجابية التعامل:

ضرورة أن يكون الوالدان منفتحا النفس والسريرة عند تحدثهم مع ابنهم، إذ يشعرانه دائماً بالتفاؤل وأن ما يقع به من أخطاء ما هي إلاّ تجارب تثري مخزونه الفكري وتزيده خبرة في الحياة ليتجنب أية مشكلة مشابهة في الحياة مستقبلاً ويشعره ذلك أنهم دعم له في كل شؤون حياته.

من هنا تتكامل أسس تربية الطفل في فهم خصائصه النمائية من خلال ما أشار له علماء الدماغ في عمر ما دون السابعة وعمر ما بعد السابعة وحتى تمام العاشرة، إلى أن تبدأ مرحلة المراهقة بعد هذا السن وتكامل ذلك للوصول إلى الطريقة المثلى للتعامل معه ليكون متعلماً منضبطاً على أسس قيميّة إيجابية.

كل ذلك وغيره أشار له رسولنا الكريم في حديثه صلى الله عليه وسلم، وما هذه الدراسة إلا إثبات توافق قول رسولنا الكريم قبل أربعة عشر قرناً مع استنتاجات العلم الحديث. وهنا يستوجب علينا وقفة بل وقفات تأمل لهذه الكلمات العظيمة التي أطلقها رسولنا العظيم، والتي لم تكن مجرد كلمات نحفظها وإنما كانت جوهر علمي مبني على أساس عميق لطبيعة وفسيولوجية جسم الإنسان.

ولسنا بحاجة إلى دراسات لإثبات ذلك ولا قراءات إضافية – إلاّ للاستزاده – فعلم حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يكفينا للوصول بأطفالنا إلى أقصى وأفضل درجات التطور والتقدم والتربية المثالية من خلال التزامنا بأحاديثه صلى الله عليه وسلم وإلى بناء أكبر منظومة قيمية سواء في قيمتي التعلم والانضباط أو في غيرهما من القيم.

خلاصة البحث والخاتمة

لقد انطلقت فكرة البحث من إحساسنا العميق بضرورة التعمق في قراءة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والغوص في دلالاتها والمغزى من ألفاظها ودراستها من الناحية العلمية وكيفية الاستفادة منها وتوظيفها باعتبارها مصدراً رئيساً للتربية السليمة الصحيحة.

ومما لاشك فيه أن معظم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل فيها البعد العلمي بطريقة او بأخرى ، فقد رأينا تناول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) من البعد العلمي القيمي لإثبات قيمتي التعلم والانضباط للأبناء في حال تطبيق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنبعت من هنا أهمية الدراسة وبيان حاجة المجتمعات الإسلامية لإعادة بناء منظومة قيميّة جديدة لأبنائنا في ظل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية العالمية، من خلال بناء قناعة عميقة وراسخة مبنية على دلائل علمية ثابتة وواضحة لأهمية الاستفادة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء جيل المستقبل، وتأكيد الثقة الراسخة بتوافق ذلك مع الأبحاث الحديثة لعلماء الدماغ والأعصاب.

وقد قسم الباحثان الدراسة الى مبحثين: ناقش المبحث الأول الحديث من ناحية حديثية وفقهية، في حين كان المبحث الثاني محاولة لربط هذا الحديث بالدراسات التربوية الحديثة والاستفادة منها في فهم الحديث، وفي توضيح السلوك الصحيح الذي يجب على المسلم أن يسلكه في تربيته لأولاده في ضوء الحديث وعلم التربية الحديث.

وقد توصلت الدراسة الى أن دماغ الإنسان يولد بأكثر من تريليون رابط من الروابط أو الوصلات العصبية والعديد من هذه الوصلات الجديدة تتكون مع النمو الحسي المبكر للطفل حيث تتزايد سرعتها في النمو ما بين عمر الأربع سنوات والسبع سنوات، وأن استهلاك الأطفال في العمر المذكور لسكر الدم ضعف استهلاكه لدى الراشدين، ما يشير إلى زيادة النشاط المخي وبالتالي اعتبار فترة النمو هذه أفضل فترات النمو المعرفي للطفل، وهي ما تسمى بنوافذ الفرص،

حيث تكون الوصلات العصبية مهيأة لتخزين كل ما يتعلمه الطفل، فقد أكدت الصفات التي ذكرت مسبقاً استقبال الطفل للنصح والإرشاد والذي يأتي كإحدى مفاهيم (الأمر) لكل كبيرة وصغيرة إذ إنه يتصف بالعديد من الصفات الفطرية التي تساعد على ذلك ومنها أنه يكون:

- ذا مقدرة عالية على التركيز والانتباه (ذاكرة حادة).
- ذا حب شديد للتشجيع واستجابته السريعة للتعزيز.
- كما أنه مقلد لكل ما يرى ويسمع.

كما توصلت الدراسة الى أن أفضل أنواع التعلم تتمثل لدى الطفل في التعلم بالاستكشاف والتعلم بالمحاولة والخطأ والتعلم بالاستبصار والملاحظة الدقيقة، إذ إنه في هذه السن ملاحظ ومقلد وسريع التعلم.

لكل ما سبق فإن هذه الصفات التي أودعها الله – عز وجل – به تُعد بمثابة استعداد فطري لتقبل (الأمر) بالصلاة ولأي شأن آخر تعلمي أو انضباطي، سواء بمعناه الذي يأتي بمعنى النصح والإرشاد أو بمفهوم الأمر المتعارف عليه بين العامة كأن تقول له: « صليت ؟... « « قم صلِّ.. « أو بالتلميح المباشر كأن تقول له « كم بقي للأذان ؟ « « هل توضأت ؟ «.

وبما أن ذروة التعلم للطفل هي من الرابعة وحتى السابعة فإن كل ما يؤمر به الطفل وما ينصح به يُعد بمثابة ختم يلصق في دماغه وينشأ عليه وينفذه ما دام في هذه الحياة. لجميع هذه المبررات ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم: (مروا).

إلا أنه وبعد سن السابعة يبدأ الدماغ بإفراز هرمونات تبدأ بتعطيل عمل الوصلات العصبية الزائدة التي لم تستخدم في تخزين المعلومات لأسباب كثيرة أهمها ضآلة الخبرات التي يتعرض لها الطفل، ويستمر ذلك حتى سن العاشرة من العمر حيث تكتمل عملية طرح الوصلات التي لم تستخدم لأن الخبرة –كما ذكرنا مسبقاً – هي التي تحدد أي الوصلات تُطرح أو أيها يبقى– وهو الأهم –.

هذا من الجانب العلمي المجرد والذي يعرف بعلم أبحاث الدماغ، وبما أن هذه الأعصاب ستفقد ؛ إذن يجب استغلال هذه الصفة الدماغية قبل نفاذ الوقت المتاح لها – وهو حتى تمام العاشرة– مع صفات فطرية أخرى أودعها الله في الطفل مثل: قدرته على تقويم وتفسير الظواهر المحيطة به، وقلة التشوش الفكري والثبات الانفعالي، وقدرته العالية على معالجة المعلومات واتخاذ القرارات حول أولوية المعالجة. وغيرها من الصفات، والتي ترتقي إلى العقلانية والثبات، فلأجل هذا كله فأن أهمية تلك الصفات تجبرنا على تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإيقاع عقاب الضرب غير المبرح وبمفاهيمه المتنوعة بدءً بالنصح والارشاد ثم التنبيه والتوبيخ، والحرمان.. ليدرك بأن أمر الله منزل وليس به جدال، فيرسخ في دماغه أن السلطة الكبرى التي أمرنا منها تتطلب الامتثال والانصياع، ولا مجال للتردد، والتفكير. ولا شك أن المرور في هذه المرحلة – بما تحمله من صفات دماغية فسيولوجية وعملية– دون رسوخ مفهوم الصلاة وما يتبعه من تعلم وانضباط

يعد خطيراً، إذ إن الأعصاب غير المستخدمة ستصبح عديمة الفائدة إذا لم تخزن هذه الأوامر. من هنا جاء الأمر بثبوت الضرب حتى ترسخ في دماغه لتصبح عادة يتعود ويسلك عليها إن لم يستطع الأب ترسيخها كقناعة.

ويجدر العلم أن نتاج ما توصلت له الدراسة من خصائص الطفولة في الملخص أعلاه، وتلاقي ذلك مع بعض خصائصهم في مرحلة المراهقة ومن أهمها التفكير بالجنس الآخر بكثرة، وبالعمليات الجنسية بسبب زيادة الهرمونات الجنسية لدى الطرفين. كل ذلك يستوجب على الوالدين فصل الأبناء الذكور عن الإناث في المضاجع وعدم اختلاطهما، حيث إن المراهق في هذا السن يوغل كثيراً في التفكير في الجنس الآخر، بسبب سيل الهرمونات المفروزة في جسمه ولذا ومن باب درء المخاطر، وعدم صب الزيت على النار، أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بفصل المضاجع.

وقد أثبتنا في بحثنا هذا ومن خلال البعد العلمي لأبحاث الدماغ أن الفجوة بين تربية رسولنا الكريم المثبتة في جوهرها العلمي الحديثي وبين الأنظمة التربوية التي نادى بها علماء الغرب منذ مئات السنين كبيرة جداً، لأن منظومة التربية النبوية مبنيّة في أدق جزئياتها وتفاصيلها لتناسب الطبيعة (الفسيولوجية) لدماغ وجسم الإنسان وهي موضوعة لتناسب جميع البشر بلا استثناء كما هي الرسالة المحمدية.

وفي خاتمة هذا العمل نرجو الله أن نكون قد وفقنا في توضيح وتفسير قول الرسول الكريم عليه أتم الصلاة وأفضل التسليم: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) وبيان المغزى والمقصد من هذه الفئات العمرية وكيفية التعامل معها ، إذ إنه لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى، كما أننا نرجو الله أن نكون قد استطعنا أن نجيب عن أسئلة البحث، كما نأمل أن نكون قد استطعنا تركيز الضوء على النقاط الهام والممتعة في الوقت نفسه. كما ونرجو الله أن يكون هذا العمل فاتحة خير وانطلاقة جديدة في تفسير حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وربطه بالعلوم التربوية المعاصرة، راجين الله جلّ في علاه أن يلهم غيرنا دراسة المزيد من الفوائد والقيم التربوية لأحاديث أخرى.

مع أملنا أن نكون في أوراقنا القليلة قد وفِّقنا لما فيه الخير حسب نياتنا، فإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم، وما كتب ابن آدم أوراقاً أو وريقات إلاّ قال في غد لو قدمتُ هذا ولو أخرتُ هذا لكان أفضل، وهذا من أصل البشر ، فليس للكمال مكانً على الأرض إلا في نصوص القرآن الكريم.

وأخيراً.. أذكِّر نفسي وغيري بقول الله تعالى:

(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف ١١٠.

المصادر والمراجع

أحمد بن حنبل (توفي ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م)، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، ط ١.

ابن الأعرابي، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم (٢٤٦ - ٣٤٠هـ)، المعجم، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الكتب المصرية.

الترمذي، محمد بن عيسى، (المتوفى: ٢٧٩ هـ) السنن، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥م.

الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠.

ابن حبان، أبو حاتم محمد البستي، المجروحين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب.

ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوَّامة، دار الرشيد بحلب، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، إدارة الشؤون الإسلامية بالكويت، ١٣٩٣هـ.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ، ١٣٩٠ – ١٩٧٠.

الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي، السنن، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٨٦ – ١٩٦٦.

الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) السنن، **تحقيق**: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر القرشي، كتاب العيال، تحقيق : د.نجم عبد الرحمن خلف، دار إبن القيم – الدمام، ١٩٩٠، الطبعة الأولى.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

شاه ولي الله أحمد ابن عبد الرحيم الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق سيد سابق، دار الكتب الحديثة - مكتبة المثنى، القاهرة – بغداد.

الطبراني، سليمان بن أحمد (المتوفى: ٣٦٠ هـ) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥ هـ.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت, عمان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الطبراني، سليمان بن أحمد (المتوفى: ٣٦٠ هـ) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى : ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين، موقع جامع الحديث النبوي.

العظيم آبادي، محمد أشرف (المتوفى: ١٣٢٩هـ) عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، **الطبعة** الثانية، ١٤١٥ هـ.

علي بن نايف الشحود، تربية الأولاد في الإسلام النابلسي، محاضرات مسجلة فرغها الشحود، الشاملة.

عويضة، محمد نصر الدين محمد، أبو رحمة، الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، جدة، ١٤١٧ هـ.

ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣ هـ) السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى.

المباركفوري، أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

محمد بن حبان البستي (توفي ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م (ط ٢).

محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى : ١٠٥٧هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الشاملة.

معتز أحمد عبد الفتاح، مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، الشاملة.

الملا على القاري ، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، دار الفكر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

النووي، يحيى بن شرف، أبو زكريا (توفي ٦٧٦ هـ)، رياض الصالحين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت.

النووي، يحيى بن شرف، أبو زكريا (توفي ٦٧٦ هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٩ هـ (ط ٢).

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٧٣٥ هـ)، كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة.

المراجع التربوية:

١) إبراهيم عبد الستار والدخيل، عبد العزيز وإبراهيم، رضوان، العلاج السلوكي للطفل، أساليبه ونماذج من حالاته، مجلة المعرفة، يناير ١٩٧٨م.

٢) أبو جعفر، محمد عبد الله (٢٠١٤)، علم النفس النمو، للسنة الثالثة بمرحلة التعليم الثانوي، شعبة العلوم الاجتماعية، (بلا) مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، وزارة التربية التعليم، ليبيا.

٣) بهادر، سعدية(٢٠٠٣)، برامج تربية أطفال ما قبل المدرسة،(ط١)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة: عمان، الاردن.

٤) الحارثي(ب)، ابراهيم(٢٠٠١)، التفكير والتعلم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ، (ط١)، مكتبة الشقري: الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥) الحارثي(أ)، ابراهيم(١٩٩٩)، تعليم التفكير،(ط١)، مدارس الرواد: الرياض، المملكة العربية السعودية.

١) خضر، عماد الدين(٢٠٠٣)، إستراتيجية لإعداد المعلمين لعصر اقتصاد معرفي في إطار مصفوفة (SWOT)، بحث مقدم لمؤتمر: رؤى تحديثية لبرامج التربية العملية في كليات التربية بالوطن العربي في الألفية الثالثة، جامعة الزرقاء الاهليه: عمان، الأردن.

٦) السلطي، نادية سميح،(٢٠٠٩)، التعلم المستند إلى الدماغ، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة: عمان، الاردن.

٧) صالح، علي (٢٠١٣)، نظرية العقل لدى الأطفال، التنظير الحديث في النمو المعرفي، (ط١)،دار صفاء للنشر والتوزيع:. عمان، الاردن.

٨) عباس، فضل حسن (١٩٩٧)، البلاغة، فنونها وأفنانها، (ط٤)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٩) عبد الجليل، باسل (٢٠٠٦)، من كيمياء الدماغ إلى التعلم والإبداع، (ط٢)، المكتبة الوطنية الأردنية: عمان، الأردن.

١٠) عبد الكريم، كامل حمدي،(٢٠٠٩)، ط١، دار حافظ للنشر والتوزيع: جدة، المملكة العربية السعودية.

المراجع الأجنبية:

2) Abravanel, E. and Gingold, H. (1998): Learning via observation during the second year of life. Developmental Psychology, 21, 614-623 (chap 6).
3) Chudler, (2002).The forgotten Brain cell. Retrieved from http:// www. faculty. Washington. edu/ chudler/ cells.htm
4) Jensen, Eric.(2000).Brain-Based Learning.San Diago,CA: The Brain store.
5) Spreger.(1999).Teaching for Higher Level Thinking. Apaper presented at the Eighth Conference on Thinking held in 5/7/1999.inAdmenton, Alberta. USA

المواقع الإلكترونية:

1) http://islamqa.info/ar/127233
2) (http://www.gifted-ch.net/?p=283)
3) http://www.youtube.com/watch?v=LXKCgSDm-BY
4) www.abnaaelnaweia.yoo7.com/t1119-topic
5) www.dr-khader.com